تقدير موقف

حرب الجبهات الثلاث

تحاول هذه الورقة التحليلية الإحاطة قدر الإمكان بنظرة العدو إلى المعركة الجارية على صعيد الأهداف والمحذورات والتحديات والخطوط الحمراء والشكل النهائي للمعركة.

أهداف العدو

اختلف تركيز تحليل المعلقين والخبراء الإسرائيليين حول أهداف وغايات القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية منذ بدء المواجهات العسكرية. وتوزع تحليل الأهداف ما بين المدى الزمني للعملية العسكرية والإجراءات الميدانية. كان واضحًا لدى الغالبية من المحللين استمرار القتال وتبادل الضربات لأيام، ولجوء القيادة إلى التصعيد والعنف بهدف إلحاق الضرر بفصائل المقاومة والحصول على إنجازات ضمن عملية تأمين توازن المعادلة وترميم الردع وفقًا لما ورد عن يوآف ليمور في صحيفة هآرتس بتاريخ 2021/5/11، تحت عنوان "ما مدى قدرة إسرائيل على خوض حرب متعددة الجبهات؟"

بيد أن الحاجة إلى ترميم الردع تخطّاها لاحقًا رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الذي أعلن ضرورة عدم الاكتفاء بإعادة الردع وإنما العمل على تعزيز الردع. ومع اشتداد المعركة وتراكم الأضرار التي تلحقها المقاومة الفلسطينية بالهيبة الإسرائيلية على مختلف المستويات، ارتفعت حدة الخطاب الإسرائيلي الرسمي؛ فقد أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في الرابع عشر من أيار الجاري أن القتال سيستمر لجباية ثمن باهظ من حماس ولو تطلب ذلك "قوة قصوى". ويبدو أن موقف التطرف الإسرائيلي المرتفع ناجمًا عن فشل الغارات الإسرائيلية الكثيفة في القضاء على المخزون الصاروخي للمقاومة، المعلومة التي أدلى بها مراسل يديعوت أحرونوت، يوسي يهوشواع، في اليوم ذاته. ربط بعض المحللين العمليات الهجومية الإسرائيلية بالميدانين الأمني والسياسي، حيث رأى بن كسبيت في صحيفة معاريف أن نتنياهو يستغل جولة القتال لمصالحه السياسية الشخصية، ويسعى إلى تمديدها حتى انتهاء فترة تفويض يائير لابيد تأليف الحكومة الإسرائيلية الجديدة. والبعض الآخر وعى أهمية تدارك تفلت الوضع في مناطق الداخل وفقدان السيطرة على الشارع مع اندلاع المواجهات بين العرب واليهود في المناطق الإسرائيلية. وقد افترضت صحيفة هآرتس بتاريخ الثالث عشر من أيار الجاري في مقالتها المعنونة "الأجهزة الأمنية تعتزم تشديد الضربات لتحقيق إنجازات هامة وإنهاء المعركة خصوصًا بعد أحداث الليلة الماضية" نشوء توجه واستعداد لدى الأجهزة المختصة لإمكانية انهاء الجولة العسكرية في غزة وعدم إطالة زمن رفض الوساطات الدولية للتهدئة الفورية والتجاوب مع محاولات حثيثة لتهدئة الأمور بهدف التفرغ للتظاهرات داخل المدن باعتبارها التهديد الأكبر على حد قول نتنياهو. في المقلب الآخر، تظهِر سياسات نتنياهو دواعٍ حقيقية لدى هؤلاء للقلق من تدحرج المواجهات لا سيما إذا ما مضت الحكومة الإسرائيلية في السير نحو هدف طموح للغاية؛ هو إنشاء وضع يعود فيه توازن القوى بين السلطة

الفلسطينية وحماس إلى وضعه الطبيعي، وفقًا للمحلل العسكري في يديعوت أحرونوت، أليكس فيشمان. فاستخدام القوة المفرط حماقة باتت نهجًا يستتبع بها نتنياهو باقي القطيع على حد تعبير ميلمان في مقالته "مسيرة الحماقة لإسرائيل" التي نشر ترجمتها موقع عكا للشؤون الإسرائيلية. ويؤكد استمرار العنف والتصعيد ما أعلنه حديثًا مسؤول أمني "إسرائيلي" لقناة 12 عن السعي لتحصيل ثمن باهظ يدفع حماس إلى وقف القتال والاستعداد لاستمرار الجولة طالما استمر إطلاق النار من غزة. وأعلن نتنياهو مساء السبت الماضي عدم انتهاء العملية العسكرية والاستمرار بها وفق "ما تقتضي الضرورة"، وحتى منع إطلاق حماس الصواريخ. وقد تحمل كلمة بايدن مساء الأحد حول السعي لـ "تهدئة طويلة" مؤشرًا على تمديد المهلة الزمنية للعملية العسكرية على أمل تحقيق إنجاز ما.

محذورات العدو

تسعى إسرائيل إلى تحقيق أهدافها تحت سقف الشرعية الامريكية والغربية كما أورد ليمور؛ فهي تحذر من الإتيان بخطوات عسكرية لا تحصل على تأييد أمريكي، خاصة وأن إدارة بايدن لن تقدم الدعم بصورة عمياء، على حد قول عاموس هرئيل في مقالته "مجددًا إسرائيل على عتبة مواجهة عسكرية واسعة في القطاع" التي نشرتها صحيفة هآرتس. ويؤكد الأمر ما أورده رون بن يشاي في صحيفة يديعوت أحرونوت بعنوان "هذه المرة يعرف الجيش الإسرائيلي ما يريد تحقيقه". ويشير تأريخ هذه المقالة، الحادي عشر من أيار الجاري، إلى السقف الذي ألزمت به "إسرائيل" نفسها منذ الأيام الأولى للحرب التصعيدية على قطاع غزة.

وعليه، يمكن القول إن العدو الإسرائيلي دخل في المأزق لكنه لا يعرف الخروج منه، فهو لا يريد التراجع السريع لأنه سيمس بالردع بشكل مباشر، أو وقف العمليات بشكل مبكر ظنًّا منه أن ذلك ما يسجّل انتصاراً للغزاويين. كما لا يريد الاستسلام لأي ضغوط دولية من شأنها انهاء العملية العسكرية قبل أن تعيد "إسرائيل" بناء الجدار الحديدي مقابل غزة على حد قول فيشمان أو الخروج من العملية العسكرية الواسعة في القطاع بنتائج ضعيفة. وفي ذات الوقت، يخشى "الإسرائيلي" من تفكك الأمن الاجتماعي بشكل كامل من الداخل، وسيطرة الفوضى وفقدان السيطرة من قبل الحكومة والجيش على الأوضاع ونشوء خطر حقيقي على "الدولة" من الداخل وفق محلل الشؤون الدولية في القناة 13، نداف إيال.

كما تعاني الحكومة من هاجس الخوف من الاستمرار بالقتال بما يثبت أكثر هشاشة الجبهة الداخلية، ومن تصاعد الهجمات وصعوبة إيقاف كرة الثلج، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يجده الرئيس المكلف لتأليف الحكومة الإسرائيلية، يائير لبيد، من تهديد وجودي في الفوضى والتهديدات بين الفلسطينيين واليهود في المجتمع العربي والشوارع الإسرائيلية.

تحديات العدو

لعلّ أكثر ما يتهدد العدو الإسرائيلي هو ما ألحقته الانتفاضة بالعدو من تحديات جمة، بعضها على المدى القريب والمتوسط والبعيد. ويمكن القول إن الكيان سيتخبط لفترة طويلة من الزمن لإعادة التوازن الداخلي على افتراض توقف المواجهة على الوضع الحالي.

أولًا:

سيتوجب على الكيان إعادة استيضاح جهوزيته لقتال متعدد للجبهات، واحتساب قدراته التي تضعضعت بمواجهة جبهة واحدة بينما كان يتحضر لإطلاق مناورة هي الأكبر لتحاكي حرب محور المقاومة بتعدد جبهاته. كما سيتعيّن عليه إعادة التأكد من التقرير الاستخباري الصادر في الأسابيع الأخيرة حول القدرات الصاروخية لحماس؛ وهي تقديرات يصفها بن يشاي في يديعوت أحرونوت بأنها "معطوبة".

ثانيًا:

بطلان فرضية إمكانية وحدة مدينة القدس بعد الأحداث العنيفة وفق دراسة قام بها معهد دراسات الأمن القومي، فالقدس لا تزال في قلب النزاع الفلسطيني –"الإسرائيلي" كما يشير مقال صادر بذات العنوان عن باحثين في المعهد المذكور، تسيبي يسرائيلي وأودي ديكل. لم تستطع إسرائيل القضاء على القضية الفلسطينية أو إطفاء شعلتها في قلوب الفلسطينيين، وتحديدًا في الجيل الشاب الصاعد. وتصعب عملية "توحيد القدس" الإسرائيلية مع وجود نسبة من السكان المقدسيين تؤيّد بقاء انقسام القدس إلى عربية ويهودية، ووجود نسبة 70 % في 2020 من سكان القدس تفضل الهوية الفلسطينية على الهوية الإسرائيلية. الأمر المرجح أن ترتفع نسبته بعد الانتفاضة الأخيرة.

ثالثًا:

على إسرائيل تسجيل انتصار أو إنجاز قبل الضغط الأمريكي أو الدولي لمنعها من القيام بعملية واسعة في القطاع شبيهة بعملية الجرف الصامد (2014)، لا سيما مع خوف نتنياهو من الاصطدام بمصاعب المناورة في ظل تردد إدارة بايدن تجاه الخطوات الإسرائيلية، وصعوبة إمكانية مواصلة العملية العسكرية في ظل الفوضى التي تعيشها المدن الإسرائيلية، وفقًا لتقديرات صحيفة هآرتس.

رابعًا:

الاضطرار إلى التعامل مع حماس بعد اليوم في أي مفاوضات أو تهدئات مقبلة كندٍّ استراتيجي نتيجة المعادلات الجديدة التي دخلت الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية. استطاعت فصائل المقاومة من غزة طرح معادلة ردع جديدة بمواجهة المخطط الإسرائيلي في القدس مثلما في أي مخطط مستقبلي. وقد ساهم دخول طائرات المقاومة المسيرة من طراز شهاب، والقدرات الصاروخية التي تغطي 250 -300 كم في تثبيت المعادلة في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. لقد باءت بالفشل كل أهداف الكيان الساعية على مدى سنوات عدة لمنع التطور التكنولوجي في المنظومات الدفاعية والحؤول دون امتلاك طائرات مسيرة. وقد سقط المفهوم العام للجيش الإسرائيلي والمستوى السياسي القائل بأن تحسن الأوضاع الاقتصادية في غزة يزيد من فرص التسوية والتهدئة للمدى البعيد ما بين حماس وإسرائيل.

خامسًا:

إن التهديد الأخطر على الكيان الصهيوني من صواريخ غزة هو حدوث انتفاضة شاملة من فلسطينيي الداخل تكون مفاعيلها أقوى مما كان في انتفاضة 2000. إن ديناميكية الشعب الفلسطيني في المناطق "الإسرائيلية" مع فلسطينيي القدس والضفة هو الخطر الحقيقي على دولة الكيان لأنها تنذر باندلاع فوضى يصعب التعامل معها على المدى البعيد، ولو تم كبح التحركات الفلسطينية الشعبية الآن من قبل قدرات العدو والمستوطنين. إن حدوث حرب أهلية أو انتقال العنف إلى فلسطينيي الداخل والضفة الغربية والساحة الشمالية من أخطر التحديات القائمة بوجه الحكومة الإسرائيلية. وقد رأت هآرتس في مواجهات العرب واليهود في أراضي 48 تهديدًا أخطر من القتال في غزة. وقد عبر نتنياهو عن خطورة الوضع أمام مجريات الاضطرابات الجارية في منطقة اللد.

سادسًا:

سيكون على الحكومة بذل الجهود لاستعادة التوافق الداخلي وثقة الجمهور بها الذي يرى المحللون أنه تلقى صدمة على مستوى الوعي بقدرات حماس والجهاد الإسلامي، وأن الحكومة إما أنها كانت جاهلة بتلك القدرات أو تعمدت تجهيل الشعب. كثيرة هي الانتقادات الذاتية والتضارب الداخلي الإسرائيلي والاتهامات بالتضليل وعدم التنسيق ما بين القيادتين الأمنية والسياسية. لقد ضربت حكومة نتنياهو بعرض الحائط التحذيرات الأمنية من قرار المضي بمسيرة الأعلام واستفزاز الشارع المقدسي العربي، وقد تجد حكومة نتنياهو صعوبة في تجاوز تحميلها ونتنياهو المسؤولية

بالذات. وقد بدأت الدعوات إلى إسقاط نتنياهو تظهر بالفعل من قبل بعض المعلقين العسكريين والسياسيين أمثال رئيس وزارة الدفاع الإسرائيلية السابق ورئيس حزب "إسرائيل بيتنا"، الروسي أفيغدور ليبرمان.

سابعًا:

الحفاظ على اتفاقية إبراهام التي أظهرت الأحداث الأخيرة أنها بنت منزلًا من ورق ولم تقض على القضية الفلسطينية، كما جاء في هآرتس. لقد توهم الإسرائيليون بأن اتفاقيات التطبيع تعني انتهاء القضية الفلسطينية إلا أن الأحداث الأخيرة كشفت انتهاء الوهم مع عودة انفجار القضية الفلسطينية في وجوه الإسرائيليين وفقًا لتحليل رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق ورئيس معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب، عاموس يادلين. وتقوى هذه الفرضية مع الخوف الإسرائيلي الحقيقي الذي يقرّ جدعون ليفي بوجوده في إمكانية انقلاب الطاولة قريبًا في مصر والأردن بما يعني فقدان الكيان الحماية من شعوب المنطقة. وقد بدأت ترددات تظهر على الحدود الأردنية مع اندفاعة الشعب لنصرة الشعب الفلسطيني.

الخطوط الحمراء

لن تتسامح الحكومة الإسرائيلية في ارتهان سكان غلاف غزة لصواريخ المقاومة، وتوفير حماس الردع في القدس وفي باقي المدن. يسعى الإسرائيلي إلى الحؤول دون وصول حماس والجهاد إلى لحظة التهدئة بقوة ودون ردع إسرائيلي، أو التحكم بإملاءات الجداول الزمنية للصراع. ويمنع على إسرائيل التحرك نحو وقف إطلاق النار في هذه المرحلة بما يخدم بشكل رئيسي مصلحة المقاومة، وإن نفس ترك توقيت نهاية الحملة مفتوحة هو إنجاز استراتيجي لإسرائيل، وفقا لمراسل القناة 12 الإسرائيلية، غيرشون هاكوهين. وبناء على هذه الخطوط الحمراء، يمكن فهم التصعيد وتكثيف الهجمات الإسرائيلية، فالإسرائيلي يركز حملاته التصعيدية لمنع حماس من حيازة أي مكانة في القدس ولتقويض سيادة الفصيل المقاوم في القضية الفلسطينية. فقد تمددت عمليات الفصائل المقاومة من غزة، واتسعت في المجتمع الفلسطيني كله، وتوحدت أذرع الفصائل كافة في مواجهة إسرائيل، وفقًا للمحلل العسكري في يديعوت أحرونوت، أليكس فيشمان. ومن الخطوط الحمراء الأخرى التي أقرّها العدو الإسرائيلي الاضطرار الى إعلان حالة الطوارئ في كل "إسرائيل"، أو تدخل إيران وحزب الله في المعركة بالاستفادة من الثغرة الاستراتيجية الماثلة في تآكل قوة الردع الإسرائيلي الذي كشفته المعركة الأخيرة. ويحدد مدير معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي، مانويل تراختبرغ، في مقالته بعنوان "غياب استراتيجيا لدى متّخذي القرارات يغذي حلقة العداء" خطًا أحمر حاسمًا هو منع العودة إلى

نفس المسار الآلي الذي يقود إلى اللامكان، على حد تعبيره، وهو "ذات الواقع الخادع من الهدوء الوهمي، ومن الجمود والثبات وعدم الجدوى". فالمفترض على الحكومة الإسرائيلية وفقًا لمدير المعهد "مواجهة المسألة الفلسطينية في الجنوب والشرق من دون أوهام، وصولاً إلى مكانة العرب في إسرائيل في الاقتصاد والمجتمع والسياسة الإسرائيلية".

الشكل النهائي للحرب

لقد انهارت الصورة "الإسرائيلية" في الداخل والخارج، شعبيًا وسياسيًا وعسكريًا، في الإقليم وعلى الصعيد الدولي. لقد تكشف ضعف البيت الإسرائيلي ووهم من يراهن على الضعيف. ما بعد الانتفاضة لن يكون كما قبلها أبدًا بما يحمله من تأثيرات على الوجود الإسرائيلي، كما لن يستتب الأمر كما كان بين الشعوب والحكومات المطبعة. من هنا، ستركز الحكومة الإسرائيلية على خلق صورة انتصار واهم يسوقها نتنياهو للداخل الإسرائيلي للتغطية على كونه زج كيانه في آتون معركة القدس، التي لم تتوقع مؤسسته العسكرية شراستها ولا مفاجآتها ولا أبعادها من قبل الكل الفلسطيني الموحد وخاصة المقاومة الفلسطينية في غزة، على حد مقالة يديعوت أحرونوت بعنوان "الحرب على صورة النصر".

إن الفشل الإسرائيلي في هذه المرحلة سيجعل من الصعب على إسرائيل الموافقة على وقف إطلاق النار. والمستوى السياسي يبحث عن الإنجاز العسكري الذي يساعد القيادة السياسية على اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار، دون الالتزام بأي شروط مسبقة لحماس – كما كانت في الماضي، كما أورد أليكس فيشمان في يديعوت أحرونوت. بينما لا يزال البعض يراهن على توجيه الجيش الإسرائيلي "ضربة قاسية إلى حماس - إلى بناها التحتية وقادتها، وأيضاً إلى وكلائها الذين أملوا بأن تؤدي صليات الصواريخ على تل أبيب إلى أن نطلب مهلة من الوقت"، على حد قول تراختبرغ.